

الإسلام نهى عن التبذير وأكد أنه مذموم وينتهي إلى التهلكة

المسرف سفيه في نظر العقلاء بغيفض في عين الشريعة



في عالمنا العربي عامة والخليجي خاصة يأتي الإسراف على رأس الأمور التي تؤدي إلى الاستدانة ولاشك ان المسرف يجهل تعاليم الدين الذي ينهى عن الإسراف بشئى صورهِ، فلو كان مطلعاً على القرآن الكريم والسنة النبوية لما اتصف بالإسراف الذي نهى عنه «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تيسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» وفي الآخرة العقاب الأليم والعذاب الشديد «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين».

يظن المسرف أن المجتمع ينظر إليه بإعجاب، والحقيقة غير ذلك، فالعقلاء يرونه سفيهاً، ولا يحبون أن يكونوا على شاكلته، بينما قد يخذعه من هم على دربه. وفي فترات الشيخوخة، أو نقاد المال ونضوب مصادره يعض المسرف على يديه، وقت لا يبقع الندم، ولا يجد حوله من أصدقاء الإسراف إلا من هم على شاكلته نادمين، ينتظرون مساعدات الآخرين، أو على الأقل يعيشون في مستوى من الإنفاق والاستهلاك أقل من المتوسط، وكان بإمكانهم أن يكونوا أحسن حالاً لو أنهم قدموا لأنفسهم. ويحضرنا هنا ما ورد في كتاب الله عز وجل لتوضيح المنهج الذي ينبغي أن يتبع في الاستهلاك والإنفاق، فيقول الحق تبارك وتعالى «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» الاسراء:29. فخير الأمور الوسط، فلا إسراف ولا تقتير.

الإسراف سيؤدي به إلى سوء العاقبة، الصعبة السيئة. قد يبذل الفرد أو يبذل الإنسان موارده، أو يستهلك فوق حاجته، أو ينفق فيما لا ينبغي وإن كان حلالاً، التنشئة الخاطئة في الأسرة، أو وجود نموذج سيئ للقدوة في المدرسة أو الشارع أو النادي أو وسائل الإعلام، مما يجعل الإسراف نوعاً من الاعتبار السلوكي أو يجعله مكوناً أصيلاً في شخصية الفرد مصابف... الخ. ومن فضل الطبيعة الحياة، وأنها ليست على وتيرة واحدة، وأن الإنسان له فترات ضعف وقدرة على الكسب وتختلف بمرور الوقت والعمر، فمرحلة الشباب غير مرحلة الرجولة والكهولة، ثم الشيخوخة، أو فترات العزوبية غير مرحلة المسؤولية الأسرية. ومن هنا لو علم الفرد هذه الأمور لأدرك أن

كله يصب في محاربة الإسراف، فليس من التدين أو معرفة تعاليم الدين أن يبذل الإنسان موارده، أو يستهلك فوق حاجته، أو ينفق فيما لا ينبغي وإن كان حلالاً، التنشئة الخاطئة في الأسرة، أو وجود نموذج سيئ للقدوة في المدرسة أو الشارع أو النادي أو وسائل الإعلام، مما يجعل الإسراف نوعاً من الاعتبار السلوكي أو يجعله مكوناً أصيلاً في شخصية الفرد مصابف... الخ. ومن فضل الطبيعة الحياة، وأنها ليست على وتيرة واحدة، وأن الإنسان له فترات ضعف وقدرة على الكسب وتختلف بمرور الوقت والعمر، فمرحلة الشباب غير مرحلة الرجولة والكهولة، ثم الشيخوخة، أو فترات العزوبية غير مرحلة المسؤولية الأسرية. ومن هنا لو علم الفرد هذه الأمور لأدرك أن

وتبين السنة أهمية الاعتدال في الإنفاق من خلال العديد من الأحاديث الشريفة وسلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، ونشير هنا على وجه السرعة إلى قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله امرئ، اكتسب طيباً، وانفق قصداً، وادخر ل يوم فقره وحاجته»، عن ابن النجار عن عائشة رضي الله عنها، ضعفه السيوطي في الجامع الصغير. والإسراف كما يكون من الغني، فقد يكون من الفقير أيضاً، لأنه أمر نسبي. والإسراف يكون تارة بالقدر، ويكون تارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «ما انفق في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً»، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه: «من أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف». ولا يعني ذلك أن يحيا

أسباب الإسراف

البعد عن صحيح الدين، أو الفهم الخاطئ للدين. والمقصود هنا أن جوهر الدين هو الاعتدال والوسطية، وذلك

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَحْنُ بِهَا بِعِلْمٍ وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مبین) فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات، وكذلك أبواب السراحة في قوله: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أَمَمٌ أَمْثَلُكُمْ)، وقال تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)، وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادات؟ كما قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين، ولهذا قال تعالى: إذا تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم رءون سامعون.

ثالثاً: عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنزي قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ووراءه حبشي يمشي فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رجعكما الله، حتى صعد المنبر، فخطب فقرا: (إذا الشمس كورت) فقال: وما شأن الشمس؟ (وإذا الجحيم أنكدت)، حتى انتهى إلى (وإذا الجحيم سعرت) × وإذا الجنة أزلفت) فيكي وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد للبكاء حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه. وهذه السورة جاء فيها الأوصاف التي وصف بها يوم القيامة من الأوصاف التي تزجج لها القلوب، وتشدد من أجلها الكرب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحت أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وترجمهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن يوظف إلى يوم القيامة كأنه رأي عني فليذكر سورة (إذا الشمس كورت). بل ثبت مرفوعاً من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سرف أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عني فليقرأ (إذا الشمس كورت)، (إذا السماء انشطرت)، (إذا السماء انشقت).

رابعاً: وعن ميمون بن مهران قال: قال عمر بن عبد العزيز «الهاكم الكائن» فيكي ثم قال: «حتى رزمت المقابر» ما أرى المقابر إلا زياره، ولابد من يزورها أن يرجع إلى جنة أو إلى النار، هذه بعض المواقف التي تبين تأثير القرآن الكريم على شخصية عمر بن عبد العزيز: ولا تعليق على حالنا نحن مع القرآن بكفينا سماع سير هؤلاء الصالحين لتتسرى على أنفسنا وعلى أفعالنا وربما وسع احد منا أن ينعظ او يستفيد من حال هؤلاء السلف الصالح فيكون من الناجين بإذن رب العالمين.

رزق عمر بن عبد العزيز منذ صغره حب الإقبال على طلب العلم وحب المطالعة والمذاكرة بين العلماء كما كان يحرس على ملازمة مجالس العلم في المدينة وكانت يومئذ منارة العلم والصلاح زاخرة بالعلماء والفقهاء والصالحين، وتأقت نفسه للعلم وهو صغير وكان أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب، وجمع عمر بن عبد العزيز القرآن وهو صغير وساعده على ذلك صفاء نفسه وقدرته الكبيرة على الحفظ وتفرغه الكامل للعلم والحفظ. وقد تأثر كثيرا بالقرآن الكريم في نظرتة لله عز وجل والحياة والكون والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الموت وكان يبكي لذكر الموت بالرغم من حداثة سنه فبلغ ذلك أنه فأسلت إليه وقالت ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت. فيكت أمه حين بلغها ذلك، وقرع عاشر طيلة حياته عن كتاب الله عز وجل متديراً منذاً لأوامره، ومن مواقفه مع القرآن الكريم: أولاً: عن ابن أبي ذئب: قال: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة، وقرأ عنده رجل: (وإذا الفؤاد مكنأ ضيقاً مقرّباً دعوا هنالك نبوراً) فبكي عمر حتى غلبه البكاء وعلا نسيجه، فقام من مجلسه فدخل بيته، وتفرق الناس، ومفهوم هذه الآية: إذا الفؤاد هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكاناً ضيقاً، قرئت أبيدهم إلى أعناقهم في الأغلال (دعوا هنالك نبوراً). والنبور في هذا الموضوع دعا هؤلاء الأقوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاء به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة.

ثانياً: عن أبي مودود قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) فبكي بكاء شديداً حتى سبغه أهل الدار، فجاءه فاطمة -زوجته- فجعلت تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهما، فجاء عبد الملك، فدخل عليهم وهم على تلك الحال فيكون فقال: يا أبة، ما يبكيك؟ قال: خير يا بني، ود ابوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار . ومعنى الآية: إن الله تعالى يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبین كقولهِ: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ

الطريق إلى نيل العلم.. وآثار الجهل

أخرجه أبو داود. واحذر أخي المتعلم: الكبير والغرور بالعلم والمراة والخاصة والجدل وكنم العلم فهذا يؤدي إلى نسيانه واحذر من إطلاق الفتاوى بغير علم قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع) النسائي صححه الألباني. لئن تعين على العامي معرفة بعض القواعد الأصولية جيداً، فإن تعلم العامي للأصول إجمالاً له فوائد عظيمة، من أهمها ما يأتي:

- 1 - علم الأصول علم شرعي يحصل بطلب مع النية الثواب الذي رتبته الشرع على طلب العلم.
- 2 - علم الأصول يؤهل الإنسان لاستخراج أحكام الشريعة، فينقل العامي إلى رتبة الاجتهاد.
- 3 - علم الأصول يعطي الإنسان القدرة على فهم النصوص الشرعية.
- 4 - علم الأصول يوضح المصطلحات العلمية التي يستخدمها العلماء في الفتاوى ومؤلّفاتهم.
- 5 - علم الأصول يجعل الإنسان يضبط كلامه ولفظه، بحيث يستخدم اللفظ الذي يريد معناه.
- 6 - علم الأصول يعطي العامي الثقة في صحة الاجتهاد الذي سار عليه المجتهد الذي يتبع كلامه.
- 7 - علم الأصول يعرف الإنسان كيف يسأل العلماء، ويعرفه من هم الذي يسألهم.



أولى (ابن عثيمين رحمه الله تعالى).
من آثار الجهل
على مستوى الفرد أو المجتمع: انتشار البدع والضلالات في العقائد والعبادات، والمعاملات، وضعف الإيمان، وقلة التقوى، وازدياد المعاصي، وضعف الهيبة، كما أن الجهل بالعلم الشرعي يعد دخلاً من مداخل إبليس كما قال ابن القيم في كتابه (تلبس إبليس).

تحذير

قال النبي «صلى الله عليه وسلم»، «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها»

طلب العلم عبادة. طريق الوصول إلى الجنة. يكسب صاحبه خشية الله والتواضع للخلق. يبقى أجره بعد انقطاع أجله. يرفع الوضيع ويعزّز الدليل ويجبر الكسير.

فائدة طلب العلم

أفضل من قيام الليل، لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد لا يعده شيء لمن صحت نيته، بأن ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله سواء كان يدرسه أو كان يدرّسه ويعلمه الناس فإنه خير من قيام الليل، وإن أمكنه أن يجمع بين الأمرين فهو

5 - تزكية النفس: أن يحب الشخص مدح نفسه ويفرح بسماع فناء الناس عليه (ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا) وتزكية النفس مذمومة (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) فحب التزكية وحب الثناء من فحش الشيطان.

6 - عدم العمل بالعلم: سبب من أسباب محق بركة العلم ومن أسباب قيام الحجة على صاحب العلم (كبر مفتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وزكاة العلم العمل به وتعليمه للغير.

7 - التسوييف: وهو كما يقول أحد السلف «من جنود إبليس»

فوائد العلم

به يعرف الله ويعبد ويوحّد. هو أساس صحة الاعتقاد والعبادات.

معوقات طلب العلم

1 - فساد النية: حب التصدر والشهرة ويجب مجاهدة النفس.

2 - التقريط في حلقات العلم: لو لم يكن فيها إلا السكنية التي تنتزل على حاضريها لكفى.

3 - التذرع بكثرة الأشغال: وهذا مدخل رئيسي للشيطان فيجب ترتيب الأولويات.

4 - التقريط في طلب العلم في الصغر: إن الإنسان ليغبط أناساً أصغر منه سناً وأكبر همة.